

الاتجاهات الحديثة في التربية

(احدى محاضرات نقابة المعلمين التي أقيمت في دار العلوم)

(١)

١ - مقدمة

أحاول في هذه المحاضرة بيان أهم مميزات التربية الحديثة ومناحي التفكير والعمل في الدوائر المشتغلة بها . ولما كانت جهودات الامم في هذا الباب عظيمة متعددة كان من الصعب الاحاطة بها جميعا في محاضرة أو عدة محاضرات . لهذا سنقتنع بأجمال ما نراه أو نسمعها أورا ، وأجلها خطرا . ولن نعرض للتفاصيل الا حيث نرى الحاجة لايضاح فكرة ذات بال ولا احسبني بحاجة الى ذكر أهمية متابعتنا للتطورات في التربية ولا سببا في هذا الوقت الذي نشتمل فيه باصلاح انظمتنا ووضع أسس جديدة لهضمتنا فإن هذا يتطلب منا أن ننظر لكل تلك الامور في ضوء الآراء الحديثة . اننا لن نستطيع في حركتنا الاصلاحية أن نفعل أكثر من السير وراء الامم التي تتطلع لمسامحتها وبلوغ مثل منزلتها في الرقي - وليس في هذا ضمير اذا أحسنه - بل هو الطريق الطبيعي لكل من بدأ نهضته متأخرا مثلنا ، فإن مسالك الرقي قد مهدت له وذلك بفضل جهودات تلك الامم الاجيال الطوال ومن المعروف عند الطبيعيين أن السير يتجه دائما في الطريق الاقل مقادير

على أن هناك خطرا يجب أن نحتمل له ونحن ننقل تلك الانظمة الحديثة وهو أن نسيء فهمها فننقلها مشوهة مقلوبة أو نخلط بين ما هو أساسى فيها وما هو ثانوى فنفرق في بحر من التفاصيل المتفرعة عنها

وننسى روحها واصولها. مثل هذا النقل ينتج ضرورا كبيرا وخير منه
أن نحتفظ بفطرتنا وتراثنا الفكرى القليل ولو أدى ذلك الى ائتمال خطانا
وبطء تقدمنا.

النقل المتمر يقتضى أن نتمق الى أصول الانظمة ونشرب روحها
ونعنى بجوهرها لا بمظاهرها السطحية ثم نؤلفها ونلبسها لباسنا ونطبعها
بطابعنا القومى فتصير جزءا من كياننا لا زائدة صناعية متصلة بنا
ومن أجل هذا أدانى مضطرا الى أن أراجع المميزات الظاهرة في
التربية الى أصولها العامة وأجعل عنايتى بوضوح طبيعة تلك المبادئ
والتطورات التى سارت فيها فوق العناية بالتفاصيل التطبيقية التى تيممها

٢ - أصول التربية الحديثة

أقوى العوامل المؤثرة في التربية الحديثة ثلاثة :

المباحث النفسية

طريقة العلوم الطبيعية في البحث

الآراء الاجتماعية الحديثة

من هذه الاصول الثلاثة نستمد روحها ومزاياها وان تنازعت
الغلبة والسيادة ودرجت كنفة كل منها في فترة من فترات العصر الحديث
ولست هذه الاصول منفصلة متنافرة بل هى في الواقع مشتبكة
متضامنة وهى تتفاعل على الدوام في نسب مختلفة والمهمة الابدية هى
تصحيح تلك النسب بما يتم معه تمتع الفرد باقصى ما يستطيع من الحرية
الذاتية مع ضمان استقرار المجتمع وسلامته من التقلقل والتزعزع

٣ - المباحث النفسية

أما المباحث النفسية فتروى الى فهم طبيعة العقل الانساني وعمله في
أدوار نموه المختلفة وخاصة عقل الطفل الذي هو دراسة أساسية في
التربية ومع هذا فلم يتنبه الناس لها الا قبيل القرن التاسع عشر . ويعتبر
روسو بحق الملمهم لها ، فقد اعتبر التربية عملية تطور طبيعي للقوى
الموروثة في الطفل ، وقرر أن مهمة المربين سلبية لانهم تمكن هذه
القوى الطبيعية من النمو والتوسع بأزالة العقبات التي تعترضها وتحررها
من الاغلال الصناعية التي فرضها الناس عليها ، وبهذا خالف ما جرى عليه
الناس من قبله من اعتبار التلقين الخارجى هو كل شئ في التربية . وقد
كانت دعوة روسو الى تحكيم الحس والمشاهدة والرجوع الى الطبيعة
دعوة قوية حارة وجدت لها أنصارا أقوياء يتنازون على روسو بأنهم
انشائيون هادئون لا هدامون ثائرون تقطرت عقيدة التطور في أدمغتهم
بعد أن خلصت من شوائب الغلو والتطرف واستبقوا من القديم ما يتفق
مع هذه العقيدة . بدءوا يدرسون الطفل ويفهمون قوانين تطوره
على أساس جديد . كانت المباحث النفسية قبل ذلك مباحث فيما وراء
الطبيعة فالنفس أو العقل كان ينظر اليه كأنه شئ منعزل عن الجسم ذو
طبيعة خاصة وان يكن أودع فيه بكيفية ما ، فاصبح النظر الجديد أن
الجسم والعقل متصلان مرتبطان ارتباطا وثيقا وأن الظواهر العقلية
يمكن فهمها لا بالتأملات الفكرية السابحة وراء المادة بل بالملاحظة الحية
والتجربة العملية . وبهذه العقلية بدأ باستالوزى مذهبه الجديد في التربية
وتبعه هربرت وفرول فأحدثا فيها ما لانزال آثاره باقية حتى الساعة في
التربية واغراضها وطرائقها وقيم موادها .

ولأود ان استعرض تاريخ كل من هؤلاء المصلحين، وتفصيل
مذهبهم فذلك ما يعرفه أكثر المعلمين مما درسوه في تاريخ التربية ولكنني
أوجز ذكر العناصر المعبرة في كل مذهب، ثم أنتقل الى وجه تأثيره في
الوقت الحاضر

كان عمل بستالوزي أوليا غير دقيق ولكنه كان فاتحة التربية الحديثة
وهذه اهم آثاره فيها

١. في غرض التربية : الغاية عنده اصلاح المجتمع بما ينتج عنه
الفضيلة في الافراد والعدالة في الحكومة ، ولا يتم هذا الا بتربية جميع
افراد المجتمع تربية عامة واسممة مبنية على التطور الطبيعي المستمر
المتوازن لسائر قوى الفرد ومساكنه

ب. في طرق الدراسة وموادها :

(١) الادراك الحسى وملاحظة الاشياء المادية التي تقع في متناول

حواس الطفل أساس التعليم

ومن هنا كان أظهر شيء في طريقته العناية بدروس الاشياء
وبالتعلم الشفوي

وفد يكون من المفيد أن نرى ما بقى من دراسة الاشياء
في العصر الحاضر . أن بعض أتباع بستالوزي قد جعلوا
دراسة الاشياء من بعده غاية لا وسيلة وبوجوبها ونظمها
فأزهقوا بذلك روحها وأضاعوا قيمتها.

الا ان هذه الدراسة المبنية كانت فنظرة لمبادئ العلوم
الطبيعية وهي التي صادت في أواخر القرن التاسع عشر جزءا

من كل مناهج الدراسة

وهذه الأخيرة بدورها قد اخلت مكانها في القرن العشرين لما نسميه « دراسة مشاهد الطبيعة » وهي دراسة لا تجعل ملاحظة الأشياء خاصمة للتقسيم العلمي. بل تجعل للتقسيم العلمي خاصما وتابعا لما يلاحظه الطفل ويدرسه من الأشياء التي تثير فيه اهتماما ذاتيا

(٢) من أمهات المسائل في طريقة بستالوزي حقيقة يعرفها كل مدرس وهي السير في التعليم من البسيط الى المعقد :
وأم تطبيقاته لهذه القاعدة في الحساب عدم اعطاء التلاميذ أي أعمال تجريبية حتى يطمئن الى تقدمهم في الموضوع عندما يسمح بذلك وقصر العمل على تدريب شفيوى عقلي زمتا طويلا . وزيادة في حرصه على أن يكون ما يلمه التلميذ في هذا ليس مجرد لفظ العدد بل مدلوله جعل كل العمليات الحسابية الأولى تعلم باجزائها على أشياء محسوسة . وفي الجغرافيا جعل بدايتها الجغرافية المحلية فيكون فناء المدرسة والقرية والنهر القريب وواديه مقدمة لفهم الأرض جميعها بعد ذلك . وفي اللغات أحرز تقدما محسوسا بحرصه على أن يعبر التلميذ عن نفسه وليسكنه في القراءة سارا على قاعدة المقطعات تخالف بذلك مبدأه وهو السير من البسيط الى المعقد ومن المعروف وهو الجدية التي يستعملها التلاميذ في أحاديثهم الى المجهول وهو الحروف التي ليست سوى رموز

اصطلاحية لا يفهمها الطفل . وفي الرسم رفض أن ينقلوا عن نماذج وعنى بالخطوط والزوايا والمنحنيات ثم سار منها الى الاشكال الهندسية والنماذج والاشياء ومنها ايضا يبدو انحرافه عن مبدئه

ج - في روح المرافقة بين الاستاذ وتلاميذه

ومن آثاره الخالدة في سياسة التلاميذ ما نرده من أن المرافقة الصعبة التي يجب أن تسود بين المدرس وتلاميذه هي المحبة والمعطف وقد أفصح في جمل ذلك حقيقته عملية في مدارسها فاصبحت اماكن سرور لامعاهد ذعر ورهبة . وليس من شك أن فكرة تطور قوى الطفل من طبيعتها زيادة قيمته واحترام شخصيته وهذا التقدير يؤدي الى شعور الطفل بالاطمئنان الى المدرسة والثقة باستاذة واحترامه ومحبة بمكس فكرة التالفين التي لا تقم لشخصية الطفل وزنا وتفرض عليه معلومات وعبارات يستظهرها راضيا أو كارها بكل ما يقتضيه هذا الاخضاع من القسوة والشدة . والواقع أن يستالوزي كان يسيرو الى جعل المدرسة قريبة من المنزل في عملها والروح السائدة فيها وأما هربارت : فقد كانت مجهوداته متممة لمجهودات يستالوزي وان كانت تختلف عنها وتتناز بدقتها ووضوحها مما خلدتها حتى الساعة في عالم التدريس . وهذه أهم مميزات مذهبه :

١ - في غرض التعليم

غرض التربية تحقيق الغاية الابدية للحياة أي تكوين اخلاق أو الشخصية وهو لا ينظر لها بتل ما نظر اليها روسو من أنها تنمية الفطرة

اخلاصة لكل فرد ولا يمثل ما نظر اليها باستالوزي من أنها تنمية سائر الملكات في الطفل نمو متوازنا بل لقد رفض نظرية الملكات في علم النفس ونتائج تطبيقها في التربية . هو يعتبر الفرد كائنا اجتماعيا ويعلم أن بواعث الاهتمام الاجتماعية كثيرة متشعبة ومهمة التربية كيف افضلها ثم تربيتها في الطفل وظاهر ان مثل هذا النظر يؤكد قيمة التلقين الانساني واهميته . وبداية تحبتي غرض التربية هذا أن يربي في الطفل اهتمام متعدد النواحي

٢ - في مادة الدراسة

ان بواعث الاهتمام لدى الانسان تأتي من طريقين تجربته للاشياء المحيطة به واتصاله بالناس واذن فهناك بابان من أبواب التعليم : العلوم الطبيعية والعلوم الاجتماعية بما يتصل بها من نتائج التطور الاجتماعي ومع عظم أهمية الفرعين فلا شك أن العلوم الاجتماعية أكبرها قيمة لعلاقتها بالحياة الانسانية ونمايتها الخلفية والدائرة الفكرية لهربرات هي أن الاتصال بالاشياء والمجتمع يوجد العلم بها وهذا العلم يتحول الى آراء ومبادئ وهذه الآراء تتحول الى اعمال وتصرفات وهذه التصرفات تكون الذاتية أو الشخصية

٣ - طرق التدريس

١- الاهتمام أو الشوق

ليس كل تعلم ذا قيمة في التربية ولكي يكون كذلك يجب أن يبعث الشوق والاهتمام الذي يقصد بالتربية ايقاظه . الشوق هو روح التلذذ والمرور الذي يصعب تلقى العقل لفكرة خاصة وهو يقاس بتمتد الطافة التي يظهرها الشخص في اصطياذ الفكرة واعتناقها . بهذا

الشوق والاهتمام بتعمق الانتباه فلا يلجأ الى مؤثرات خارجية لا يجاربه
ب - تمثيل المعاني (أو كما يسميه بعض اخواننا بالادراك الحسي
الكامل)

لكي يهتم الطفل بما يلقي اليه يجب ألا يكون بعيدا عن تجاربه
والا بدأ صعبا غير ممكن الهضم انما يتم فهم المعاني الجديدة متى كان لدى
الطفل ثروة فكرية سابقة كافية يوظف منها ماله صلة وارتباط صحيحان
بالمعاني الجديدة وتحرك حالة عقلية خاصة يتم معها تفاعل القديم والجديد
وهضم الجديد في المعدة العقلية وجعله جزءا من كيان الكل الفكري
للطفل

ج - الطريقة العامة :

الخطوات المألوفة وهي مبنية على ما أوحى اليه فكرة تمثيل المعاني
من طريقة تلقى العقل للمعلومات وتمثيلها.

وهذه الخطوات تختلط في بعض اذهان المعلمين البادئين بروحها
ويحسب أنها هي « البيداجوجية » العملية ويتكلف في السير عليها في كل
درس بما أصبحت معه شكلية ممثلة للتدریس

د - ارتباط مواد الدراسة

يرى هربارت أن من الضروري وضع برنامج الدراسة بحيث يحقق
وحدة الحياة لادراك الطفل وبهذا يقوى الاهتمام المتعدد النواحي. يجب
أن تتعاون المواد جميعا بحيث لا يحس الطفل باستئصال الآراء المتصادمة
من علم عن آراء العلوم الاخرى

نتائج حركة هربارت

- (١) أهمية التعلّم المدرسى فى التربية الخلقية وضرورة الاعتماد على التلقين الانسانى أكثر من الاستعداد الفطرى فى تحقيق هذا الغرض
- (٢) ضرورة وجود طرق تدريس صحيحة مبنية على العلم بكيفية حمل العقل وتمده
- (٣) أهمية المدرس فى عملية التربية والحاجة المناسبة لعناية كبيرة فى اعداد المدرسين

وقد كان اكبر اتباع هربارت فى ألمانيا الاستاذ فويسكن زيفر بجامعة ليبزج وهو أقوى من دعا الى آرائه وقد غير فيها تغييرا كبيرا فحول فكرة ارتباط الدراسة الى تركيز الدراسة حول مادة واحدة يكون لها أكبر قيمة عملية وجعل باقى الدراسة تابعة لها منبثقة عنها وقد اعتبر زيفر التاريخ والآداب صالحين لهذا الغرض ونظم للدراسة فى السنوات الثمانية وهى مدة الدراسة الأولية برنامجا تاريخيا يحقق تلك الفكرة وقد نبتت من هذه الفكرة نظرية وضماها هذا الاستاذ وهى نظرية أدوار التنقيف وايست الا تطبيقا تلاميذا لنظرية الأعادة التى تقول ان الفرد فى نموه الجسمى يسير من الجنين الى الشاب فى نفس الأدوار التى مر فيها النوع فى تطوره واذن لكن تطابق هذا السير فى التطور النفسى للطفل يجب أن تختار مواد الدراسة وتنظم طبقا لأدوار التنقيف التى مر بها الجنس البشرى . ومع أن النظرية وجدت انصارا أتواها كهربرت سبنسر فى إنجلترا واستانلى هول فى الولايات المتحدة فقد ظلت فكرة أكاديمية صعبة التحقيق عمليا ولا سيما فى التربية الخلقية الدينية

التي كانت غالبية على هؤلاء المصلحين الالمان
ومهما يكن من أمر الحركة الهربارتية الآن فإنها بلا شك ظلت
الى عهد قريب كبيرة السيطرة على التعليم
فلننتقل الآن الى فروبل صاحب فكرة « روضة الاطفال » ونذكر
اهمية مبادئه وآثاره

في غرض التربية : يتفق مع روسو تماما في ان الفرض تطور
الاستعدادات والقوى الموروثة الكامنة في الطفل وان كانا مختلفان في
التفسير لأن فروبل كان شديد الايمان بالله وروسو ماديا جايدا .

طريقة التطور : يتفق مع روسو في أن الطفل حيوان متصرف
لا حيوان متملم . واهم خصائصه الحركة الذاتية التي تبثها رغبانه
وأهياله . وهذه خطوة واسعة سبق بها بستانلوزي الذي كان يرى
الادراك الحسي عملية ملاحظة ساكنة لازمة . أما فروبل فأكد اهمية
التعبير الحركي والتعليم بالعمل باعتباره ذا قوة عجيبة في التطور وهذا
يجب أن يكون له في تعليم الاطفال محل اساسي بل هو اهم عناصر التعليم
كذلك كان شأن الهربارتيين فقد ذكروا من بين خطواتهم خطوة
التطبيق ولكن التعبير بالحركة لم يكن في طريقة فروبل خطوة واحدة
بل كل الخطوات وقد كان اكبر ما ينميه على تربية عصره أنها تربي
التفكير تربية يسبق بها تمثل الافكار بالفعل اما للتعبير الحركي فيربي
قوة التحصيل والتطبيق معا وبهذا لا ينقطع ما بين الفكر والعمل
﴿ نشاط ايجابية ومعنى التطور ﴾

سأبر فروبل روسو في غايته لاني وسأثله فقد كان يؤمن مع أرسطو

أن الانسان حيوان اجتماعي وأنه لا يحس انسانيته وبحقوقها الا متضامنا مع الناس وكذلك الطفل لديه شبكة من الفرائض تدفعه الى العمل المشترك . ويتضح هذا لكل من شهد العابه . إذن فمن عهد الطفولة يجب غرس التمارن الاجتماعي لما يتبعه من الفوائد الجسمية والخلاقية والفعلية . ان الفصل المدرسي ليس الا المجتمع مصغرا . وبهذه الآراء الثلاثة انشأ روضة الاطفال لتكون مدرسة ملائمة لفرائض الطفل ونوعاته

ولما كان اول مظاهر النشاط الذاتي هو اللعب كانت روضة الاطفال قائمة على اللعب المنظم لغايات معينة في التربية وعلى مساعدة الطفل على التطور بإمكانه من اظهار نفسه والتعبير عنها فهو بهذا يأخذ بعض المعلومات عرضا اذ ليس تحصيل المعلومات عرضا في ذاته

ووسائل التعبير التي استعملها فروبل في روضة الاطفال هي :

(١) الأشارة او الایماء والنناء والانشاء وتبع اللغة الثلاث جميعا وكما امكن الجمع بين هذه الطرق جميعا كان ذلك أفضل فمثلا اذا قص المدرس قصة يعيدها للطفل لا بالكلام فقط بل بالتمثيل بالایماء والتأحين بالانفاء والانشاء بالورق أو الطين أو الخشب . والمواد المستخدمة في عمل رياض الاطفال تتألف من ألعاب وأغانى الاطفال ، الهدايا والحرف فأما الألعاب والاعاني فمفسون قطعة غنائية موضحة بالصور وتمثل ما يلعب به في حجرة الاطفال كالاختفاء والبحث أو تقلد حرفة كعمل النجار مثلا . أما الهدايا والحرف فتتألف من مواد تثير التعبير بالحركة في الطفل فالهدايا تتألف من مواد ثابتة الشكل كالكرة والمكعب والاسطوانة والعصى . والحرف من مواد قابلة للتشكيل كالرمل والطين والورق

المادي والورق المقوى . واحداث التطورات لها زيادة الاهتمام بالحرف بدلا من الهدايا لانها تحقق معها حرية أوسع في التعبير الحركي ويجري العمل في روضة الاطفال على أنها مجتمع مصغر يتعلم فيها المواطنون الصغار فهم واجباتهم وحقوقهم وحاجة التعاون والمساعدة المتبادلة .

آثار فروبل في التعليم

ان آثار بستانلوزي وهربارت وفروبل مختلطة مشتبكة في العمل للمدرسي اليومي حتى يصعب تتبع احدهم وتمييزه ، على انه لا شك أن أهم مجازي التفكير في التربية الاولية في العصر الحديث تنبع من فروبل . وقد حلت الحقائق محل الرموز في عمل رياض الاطفال واحسن اختيار المراد وأبواب النشاط . ومع أن كل ما خلفه فروبل هو رياض الاطفال فإن طريقته قد ثبت صلاحها في أدوار تعليم أرقى من رياض الاطفال وكان تأثيره ظاهرا في بعض امور تستمدح التفاتا خاصا منا

أولا - « اللعب »

ازداد الاعتقاد في هذا العصر بأن الانسان حيوان عامل لا حيوان متعلم ويرجع هذا الى علم النفس الحديث الذي يقرر أن السمور والعمل عنصران أوليان في العقل والذكاء نتيجة تفاعلها ومن هنا صدق تمسك فروبل بقيمة اللعب في التربية لانفعلة الجسمية التي كان يدافع عنه بها عادة بل للتربية العقلية والخلقية لا اعتبرها فروبل من أكبر وسائلها وقد حقق هذه الفكرة في روضة الاطفال ولكن المدرسة تعلمت منه أن اللعب يتيح للفرد فرصة تفتح فيها نفسه وتكشف له الحياة الاجتماعية أكثر من أي باب من أبواب النشاط الأخرى . ولهذا كان

للعب في أشكاله المتعددة منزلة في سائر أدوار التربية الاولية والثانوية
والمالية.

ثانياً — الاشغال اليدوية

عنى فروبل بالانشاء اليدوى كوسيلة من وسائل التمييز والتطور
لافي السنين الاولى من دور الطفولة بل في سنواتها الاخيرة أيضا فقد
وضع هيكل مدرسة اشغال يدوية كان قد ازمع انشاؤها في هلبا بالمانيا
ومع ان اناسا آخرين في نواحى مختلفة كانوا يدعون للاشغال اليدوية
فان هناك أمرا جديرا بالالتفات وهو أن نظر هذا المصالح الكبير
للاشغال اليدوية يتفق تماما مع أحدث الآراء بشأنه . كان روسو يدعو
الى العمل اليدوى ولكن لاسباب اجتماعية واقتصادية . وعالج بستالوزى
العمل اليدوى على انه وسيلة للادراك الحسى ليستعين به الطالب على
تحصيل العلم . أما فروبل فدعا الى الاشغال اليدوية على أنها طريقة من
طرق التمييز ووسيلة من وسائل تنمية قوة الابتكار والانشاء فالاشغال
الييدوية التى دعا اليها يجب أن يفرق بينها وبين التربية الصناعية وهى التى
تواجهها في المدارس العامة . الاولى تستخدم القوة الانشائية لاغراض
عامة وتمطى لكل طفل بقطع النظر عن حرفته المستقبلية كالجغرافية
والحساب تماما والثانية تقصد المهارة الصناعية فى باب معين من أبواب
العمل وغرضها ارتزاقى محض

الى هؤلاء المصالحين يجب أن نضيف الدكتور مونتسورى فهى
من نفس المدرسة الفكرية . بدأت مونتسورى حياتها فى التربية كعامة
لذوي الامراض العقلية ونجحت فى استخدام طريقة سيجون الفرنسى

وهي المبنيّة على تربية وتمارين اليد فاحرزت نجاحا دفعا الى تسميم الطريقة
على الماديين من الاطفال

وهي ترى مع روسو أن الفطرة صادقة حكيمة ولهذا تدعو الى
اعطاء الطفل الحرية التامة وتعتبر التربية الختمة هي تربية النفس بالنفس
والطريقة العامة في مدرستها ان تضع الاشياء في انحاء الغرفة المتعددة
وترك للطفل اختيار ما يشاء منها ويظل يلعب ويميل دون تدخل من أى
جانب عالم بقلق سواه من الاطفال . وهذه الطريقة من شأنها اعطاء
الولد الحرية في العمل باستقلال ولكن المواد مقتصرة على عدد محدود
من الاشياء يستعمل في طرق معينة . وهذه الادوات المعدة لتربية
الحواس وتنمية المقدرة على بعض أبواب النشاط العملي كالباس الطفل
نفسه ليست أكثر ملاءمة لمرضى العقول منها للاصحاء . ولا نجد ألعاب
فروبيل وحرقة ذات القيمة العظيمة في تربية الخيالة والمواطف والاحساس
بالتعاون الاجتماعى . والعمل فردى فلا يشغل الاطفال كجماعة والمدرسة
هنا ملاحظة مرافقة لا كشأنها في روضة الاطفال حيث تشترك مع
الاطفال ونشاطهم حياتهم . وقد نجحت منتسوري في طرق تعليمها
القراءة والكتابة والحساب نجاحا فيما .

ومع أنها تأثرت بروح روسو وافتتحت من آراء بيستا لوزي
وفروبيل فإن عملها ينقصه الباعث الاجتماعى وهو أقوى الموامل الغالبة
على التربية المصرية . وقد أثنى الاستاذ عبد الحميد حسن محاضرة في
طريقتها نشرت في صحيفة المعلمين فإرجع اليها من يشاء

﴿ العلوم الطبيعية وآثارها في التربية ﴾

أفردنا لهذه النقطة محلا واعتبرناها أصلا من أصول التربية الحديثة مع تدخلها إلى حد كبير في الناحية النفسية والناحية الاجتماعية لحرصنا على بيان آثار مصلحين كبيرين من رجال العلوم الطبيعية ودعاتها وهما دارون وسبنسر

فلا شك أن نظرية دارون في النشوء والترقي قد تبعها تغير محسوس في علم النفس وقد ساعدت هذه النظرية على التوفيق بين ما يبدو متضادا في هربرت وفروبل فهي تتضمن التطور من الداخل والتخير من الخارج فتتمدد من ناحية على طبيعة الكائن الحي . وهذا هو مذهب فروبل ومن ناحية أخرى تتأثر وتسير بالبيئة وهذا جانب هربرت . والحقيقة الملمية التي لم يدركها هربرت وفروبل إلا ادراكا ناقصا هي ان الكائن والبيئة يتفاعلان لانتاج النماذج النهائية . وان كان من شأن النظرية أن تعطى أهمية لخصب الكائن الحي في التفاعل . وهذه الروح هي التي أوجدت حركة دراسة الطفل التي بدأت في أواخر القرن التاسع عشر وكان من كبار الباحثين فيها الدكتور ستانلي هول في أمريكا وهي حركة وان كانت في شكلها الأول قد أصاعت مجهودا وشقت فواها إلا أن المسائل التي أثارها حول العناصر الأولية في الطبيعة الانسانية وتقدمها بالظروف الاجتماعية لانزال حتى الساعة محل اعتبار . كذلك كان لمفالات هربرت وسبنسر في التربية أثر محسوس في تقدم مواد الدراسة فقد قسم نواحي النشاط الطبيعي في الانسان إلى خمس نواحي :

وهي (١) الناحية المتصلة بحفظ الحياة ويلزم لها الإلمام بالتسيولوجيا

وعلم الصحة و (٢) الناحية الارزاقية التي تتطلب كسب القوت . وهي تقتضى معرفة صناعة ما وهذه تستلزم الامام بالرياضيات والعلوم الطبيعية وعلم الحياة . و (٣) الناحية المنزلية المتعلقة بالحياة العائلية وتربية الاطفال وتقتضى عدا الفسيولوجيا وعلم الصحة معرفة علم النفس والاخلاق و (٤) الناحية الاجتماعية والسياسية وتقتضى معرفة التاريخ وعلم الاقتصاد والسياسة و (٥) ناحية الفراغ التي تتعلق بارواء مطالب الاذواق والمواظف وتقتضى تعلم الموسيقى وفنون الجمال والآداب وهذه تتوقف على فهم علم النفس والصوت والميكانيكا . وقد وازن بين اهمية تلك الدوافع واستغلب منها الى أن العلوم أجلبها قيمة واكبرها ضرورة ومع ماغلب عليه من التطرف في هذه الناحية يترجعه العقل على القلب واعماله الناحية الانسانية فان أثره كان كبيرا باحلال العلوم الطبيعية منزلة سامية في مناهج لم تكن لها من قبل

ومن آثار الطرقة العنصرية في التربية الحديثة الاعتقاد الغالب الآن بأن الامام بالحقائق التي يمارسها المربي يجب أن يكون مبنيا على أساس علمي سليم . وهذه المفيدة هي التي أدت الى ايجاد المدارس التجريبية كمدارس الاستاذ ديوي والدكتور منسوري وفيها توضع آراء التربية الجديدة موضع الامتحان والتجربة وتعديل على حسب مايندل عليه نتائج الممارسة العملية .

وهي كذلك منشأ علم البيداجوجية التجريبية الوليد وهو أظهر محصولات القرن العشرين التي أضافها الى التربية وهو يحاول أن يصل الى نتائج دقيقة بوسائل حسابية مضمبوطة في الطرق العملية في التدريس

وفي فهم طبيعة العقل المتعلم
وهذه المباحث ترمى الى اقامة التربية على قواعد علمية دقيقة ترتكز
على القياس والاحصاء والحركة تسيير في طريق النجاح وان تكن النتائج
التي ادركتها طفيفة ولكن كل حركة جديدة يجب ان يترك لها الوقت
الكافي للنمو والارتكاز

أم هذه التجارب الامتحانات النفسية الاستعدادات التعليمية
ووضع مقاييس عديدة لها .

فن هذه مقاييس الذكاء العام والذكاء في ناحية خاصة وهذه المقاييس
في الغالب مبنية على اختبارات لفظية أو حركية فن النوع الاول مقياس
بينيه سيمون وهو سلسلة اسئلة عامة متدرجة مع العمر تدل الاجابة عليها
على درجة الذكاء وسرعة الخاطر من نوع الاحاجي والالغاز البسيطة أو
كل مسافات متروكة في عبارات أو كاظهار السمخ في حكايات من نوع
المحاضرات الجوفية الظرفية التي كان يلقيها الاستاذ عبدالقدوس وآخرون
في حفلات السمر

ومنها مقاييس تقتضى اداء أشياء عملية كأن يؤتى بصورة مقطعة
الى أجزاء ويطلب من الطفل اعادة حالتها الى اشياء هذا . ومن هذه
الامتحانات التي اجراها سيجوان لفحص الامراض العقلية
ومن هذه المقاييس مقاييس لدرجة نجاح مواد الدراسة قائمة على
احصاءات دقيقة وملاحظات مستمرة

ومنها مقاييس لتعيين اللياقة المهنية بل لقد بلغ عن ذبوع مثل هذه
المباحث ان قدمت مكاتب في عدة مدن باستشيرها الطالب فيما يليق له

من الحرف بعد ان يجرى عليه الاختبار وهو عدة أسئلة دقيقة متدرجة
تمين وجهة الطالب وميوله

ومنها مقاييس لتعيين الامزجة والحالات الخلقية وهذه طريقة
صينية على نظريات التحليل النفساني فيعطى الممتحن عدة كلمات ويطلب
اليه ان يقول بسرعة بلا تفكير أول كلمة تخطر بباله عقب سماعه كل كلمة
وتراجع هذه على اجابات آلاف من الناس سبق امتحانهم وعرف مزاجهم
فيستنبط من تشابه الاجابة تشابه الحالات النفسية

وبالضرورة ستمين كل هذه التجارب واشباهها على دفعة فهم كثير
من المسائل العقلية والنفسية وفي هذا موهبة كبيرة للتربية

﴿ الطرق الاحصائية ﴾

وقد أفلح استخدام الاحصاءات في جمع المعلومات التي مكنت من
أحكام غير ظنية على مسائل المدارس . امكن بجمع الاحصاءات ودراستها
بدقة فهم كثير من أسباب تأخر بعض التلاميذ وأسباب التنب والسكل
الض ورضعت مقاييس لمعرفة مبالغ نجاح مواد الدراسة العادية واللاستاذ
نوردائك الاستاذ بجامعة كلومبيا فضل السبق في هذا الباب

محمد عبد الواحد خلاف

يتبع

المفتش بالجمعية الخيرية الإسلامية